ظروف الشرق والغرب بشكل متساو، ولا هو نتاج لتجميع ارادات شرقية وغربية، ولكنه، في واقع الامر، مشروع غربي صرف، لعبت الارادة الاستعمارية الغربية الدور الحاسم في دعمه ومساعدته على تحقيق اهدافه.

وكان لابد لهذا الاصل الغربي للمشروع الصهيوني ان يترك بصماته الواضحة على ملامح الكيان نفسه. ومن اهم ملامح الاثر الغربي على المشروع الصهيوني، تقدمه التقني.

والحقيقة ان لجوء الكيان الصهيوني الى تحقيق درجة من التقدم التقني، كان له، منذ البداية، ما يبرره. ويمكن ان نشير بصفة خاصة الى عاملين هامين هما:

الاول: ان قادة الكيان كانوا على وعي، منذ البداية، بوضع كيانهم كجسم غريب في قلب محيط عربي رافض، وعلى وعي بقصوره البشري وسط محيط بشري عربي هائل. ومن ثم، فقد كان تحقيق درجة من التقدم التقني، احد اوجه معادلة هاتين الحقيقتين.

الثاني: عامل متعلق بطبيعة الوسط الاجتماعي والثقافي السائد في الكيان الصهيوني. فاذا كان الاشكناز يمارسون مهام القيادة في المشروع الصهيوني منذ البداية، فقد كان من الطبيعي ان يبنوا كيانهم متأثرين بقيم الحضارة الغربية التي اتوا منها، ولا شك ان مسألة التقدم التكنولوجي تمثل احد ملامح هذه القيم.

يضاف الى هذا حقيقة انقسام سكان الكيان الصهيوني، منذ البداية، ما بين يهود شرقيين وغربيين. واذا كان هذا الانقسام، بما يولده من صراع طائفي، يمثل منذ البداية احد العوامل المهددة لاستمرار الكيان ذاته، فقد طرحت منذ البداية مسألة اخضاع اي من الطائفتين للاخرى واستيعابها داخل نمطها. وهكذا فرض اليهود الغربيون منذ البداية اثار حضارتهم على اليهود الشرقيين، واتخذ هذا الفرض مظاهر من قبيل تنظيمات الغرب الاجتماعية والسياسية (نقابات، احزاب...) والطبقات الاسرائيلية منها (الكيبوتس مثلا) وكذلك تقنيات الغرب المتقدمة. ويذكر اسحاق دويتشر بهذا الصدد «... لم يعد اليهود مجرد فائض اوروبا الذي قذفته الى اسيا كما كان الحال لسنوات طويلة، فقد ساهم حوض البحر المتوسط وساهم جنوب الجزيرة العربية في اسرائيل، لكن كيف يمكن ان يؤثر هذا اللقاء بين الشرق والغرب على نظرة اسرائيل الثقافية؟ في القدس وفي تل ــ ابيب، يسمع المرء كل انواع النظريات والتلفيقات، البعض يشير الى نسبة المواليد العالية لدى اليهود الشرقيين، ويتنبأ لاسرائيل بحتمية تمشرقها، بينما يتوقع اخرون مزيجا وحضارة اسرائيلية جديدة. اما انا، فاعتقد ان اليهود الغربيين سيتملكون اليهود الشرقيين، انهم يمثلون الحضارة الارقى التي تقهر الحضارة الادنى عادة»[٤].

وعلى اية حال، فقد تجسدت ظاهرة التقدم التقني هذه في عديد من المظاهر المادية ليس هنا مجال تفصيلها[٥]. غير ان ما يهمنا الاشارة اليه هو ان هذه السمة بالتحديد قد تركت اثارا يعتد بها على الاوضاع في العالم العربي، لن تتوقف عندها.

٦ ــ الكيان الصهيوني وظاهرة التعددية السياسية والشكل الليبرالي

لا شك ان من اهم السمات التي تميز الكيان الصهيوني، منذ انشائه، هو ظاهرة التعددية السياسية والشكل الليبرالي الذي يتخذه نظام الحكم. ويمكن في الحقيقة تفسير